

شهر الضيافة الإلهية



«في هذا الشهر تبتهج الخواطر السليمة، وتُفتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتكبل فيه الشياطين، لأنَّه شهر [] الذي دعا عباده فيه لضافته فلا مجال لعدوه عليه فهو مَنْ يحميه من مكره ويدفع عنه كيده. شهر ترق فيه القلوب، وتقل فيه الذنوب، وتقرب فيه الآمال. شهر لا يقاس ببقية الأيام، فهو خير مصحوب من الأوقات، وخير شهر في الأيام والساعات. عندما يطل علينا شهر رمضان تطل علينا أفواج الرحمة والغفران، وتعمنا بشائر الفوز والرضوان في دار السلام، حيث الأمن والأمان، في دار محفوفة بالملائكة الكرام يقومون على خدمة ضيوف الرحمن. إنَّ رمضان هو (شهر []) الذي ينهلون فيه من فيض النور الذي اختص به هذا الشهر المبارك، فهو شهر الانتصار على النفس الأمَّارة باجتناها المحظورات، وتركها الملذات، تطميناً للنفس عن مفارقة الهوى، وابتعاداً بها عن لذائذ المنى، باذاقتها لوعة الجوع والعطش لتعرف قدر النعم الموهوبة لها. من بركات هذا الشهر انزال [] كتابه الكريم الذي جعله هدى للناس، ودستوراً للحياة السعيدة التي يريدنا [] لعباده تكملة لهذا الإنسان الخليفة الموجود على الأرض. وجعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، إذ تقدر فيها أعمال العباد من خير وشر. فهي الليلة التي يحدث [] تبارك وتعالى عنها باستفهام مهيب وتنبيه خطير فيقول: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) (القدر/ 2)، إنَّه إعلان عن عظمة أمر خطير وعظيم، وكيف يتصوره البشر، وليس عجباً أن يخبر القرآن عنها بهذه الطريقة وهي ليلة تقرير المصير (فَإِذَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (الدخان/ 4)، مصير الإنسان الذي يطمح إلى العافية، ويريد السلامة، ويشتاق إلى السعادة ليعيش معافى من ويلات الزمان، وتقلب الحداث فينتهز الفرصة الثمينة بالعودة إلى رحاب الإيمان، بالاستغفار، وطلب العفو بإخلاص نية، وصدق عزيمة، توبة نصوح تقرُّ به من ربِّه ليتقبل منه عمله بأحسن القبول فيري حسن الوفادة من ربِّ غفور عطوف. شهر كان فيه نصر مؤزر للمؤمنين، حيث شهد المسلمون انتصارهم الأوَّل الذي سماه [] يوم الفرقان، يوم انتصار معسكر الإيمان الضعيف القليل، على معسكر الكفر القوي الكثير، وقد أعزَّ [] جنده إذ هزم جحافل الكفر، وضواري الفتنة، وأحزاب الشرك، وأعداء الحقِّ، فنكس رايات الضلال فولت مدعورة مرعوبة تأيدهم الملائكة المقربين مردفين ومنزلين، فخرج المسلمون ظافرين مفلحين غالبين حيث أعزهم ربهم بهذا النجاح فهزم معسكر الكفر خاسئاً ذليلاً قد ادبرت سراياه، وولى هارباً يتعثر بقتلاه، وعاد المسلمون إلى ديارهم غانمين يحملون أسماً تباشر النصر الذي هو من [] وحده إعزازاً لعبده. فقد وعدهم [] إحدى الحسنين، فكان فيهم الشهيد الذي رفع راية الإسلام وأروى شجرتها من دمه المطلول، وكان لهم سحق مَنْ تاه في خيلائه بين أرض [] وسماؤه. شهر تحقق فيه وعد [] لعباده حيث بشرهم بأنَّهم سيدخلون المسجد الحرام بأمان لا يخافون فكان الفتح المبين، (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ) (الفتح/ 27)، حيث دخل المسلمون مكة ساجدين [] على حسن صنيعه بهم فقد وهبهم النصر المهيب والفتح العظيم، ها هم الناس يدخلون أفواجا في دين []، فبوغت قريش بكبرياتها في دارها، وكان الفتح المبين (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا*... وَيَذْكُرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا) (الفتح/ 1-3).

